الإمام القرطبي، ومنهجه الفقهي والأصولي
من خلال دراسة تفسيره

الباحثة/ أسماء مهني عاشور محمد
معيدة بقسم الشريعة الإسلامية
كلية دار العلوم-جامعة المنيا

مقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضي ، والشكر له علي ما أولي من نعم سابغة ، وأسري ، أحمده سبحانه ، وهو الولي الحميد ، وأتوب إليه جل شأنه، وهو التواب الرشيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة نستجلب بها نعمة ، ونستدفع بها نقمة، وندخرها عدة لنا قال عز وجل " يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ " [1]، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وخليله "صل الله عليه وسلم" ، وعلي آله نجوم المهتدين ، ورجوم المعتدين ، ورضي الله عن صحابته الأبرار الذين قاموا بحق صحبته وعلي آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد ،،،

فهذه دراسة بحثية أتناول فيها شخصية من أبرز الشخصيات من حيث أثرها وما تركت من مؤلفات عظيمة وقيمة، وتعد مرجعا أصيلا للعلماء والباحثين والمطلعين، وكان صاحب هذه الشخصية يتحلى بكثير من الأخلاق الرفيعة العالية، وشغفه بالعلم وصبره على البحث جعلت منه عالما عظيما وعلما من أعلام المسلمين، ألا وهو الإمام العالم الجليل أبو عبد الله القرطبي شيخ المفسرين، لذلك من أسباب اختياري لهذا البحث أمور كثيرة منها: مكانة الإمام القرطبي العلمية حيث أقبل منذ صغره علي العلوم الدينية وتعلم العربية ، والشعر إلي جانب تعلمه القرآن الكريم، وثقافته وجهوده الفقهية

(1) سورة الشعراء الآية ٨٨ -٨٩

والأصولية من خلال دراسة تفسيره، واقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن يأتي في مبحثين:

المبحث الأول: سيرة الإمام القرطبي تناولت فيه:(اسمه–لقبه– نشأته– أخلاقه– حياته العلمية)

المبحث الثاني: منهج الإمام القرطبي الفقهي والأصولي.

واختتمت بحثي بخاتمة توصلت فيها لبعض النتائج.

المبحث الأول: سيرة الإمام القرطبي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حياة الإمام القرطبي الشخصية

أولا: اسمه

أجمعت المصادر التاريخية على أن الإمام القرطبي هو "الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح[١] الأنصاري، الخزرجي؛ فنسبه يرقى إلى الأنصار من الخزرج – الأندلسي المفسر، القرطبي مولدا ونشأة، السني المعتقد، المالكي المذهب، ثم المصري الوفاة[٢].

ثانيا: كنيته أبو عبد الله[٣].

ثالثا: لقبه :وقد لقبه بعضهم (بشمس الدين)[٤].

رابعا: نسبه :

لم يختلف المترجمون له في اسمه ولا في نسبه ، فقد أجمعوا على أنه خزرجي أنصاري نسبة إلى الخزرج الأكبر بن حارثة بن ثعلبة، (والخزرجي) بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاي، وفتح الراء، وفي آخرها جيم، وهذه النسبة إلى (الخزرج) وهو أحد قبيلي الأنصار[٥].

---

(١) وقيل: هوأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن نوح الأنصاري الخزرجي. ينظر: موسوعة الأعلام –تراجم موجزة للأعلام، المؤلف : موقع وزارة الأوقاف المصرية ، ص٤٤٥. وقيل ابن فرج بجيم في آخره. ينظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي،(٣٣٥/٥) مكتبة القدس –مصر: د. ت .ط.

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب تأليف: الإمام القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي، (المتوفى: ٧٩٩هـ) ، دراسة وتحقيق : مأمون بن محيي الدين الجنان، ص ٤٠، الناشر : دار الكتب العلمية -بيروت ط١ :١٤١٧ه-١٩٩٦م. وشذرات الذهب: لابن العماد (٣٣٥/٥) ، طبقات المفسرين : تصنيف، الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت٩٤٥ه) ، راجع النسخة وضبط أعلامها : لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، (٦٩/٢) ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط١ – ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م، طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنوي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ص٢٤٦، مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة، ط١: ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه : ابن حجر العسقلاني ، (٢٤٨/١) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٩٦م د.ط، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي: عادل نويهض، قدم له الشيخ: حسن خالد، المجلد الثاني، ص٤٧٩، مؤسسة نويهض الثقافية، ط١: ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة، (٥٣/٣)، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا: د/ محمد بن رزق بن طرهوني،(٤٣٩/١)، دار ابن الجوزي، ط١ – ١٤٢٦هـ.

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ) تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد ، د/ إحسان عباس، (٤٠٩/٢)، ط١ -١٣٦٧ه.

(٤) الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير تأليف : مشهور حسن محمود سليمان، ص١٣ ، الناشر : دار القلم دمشق ،ط١ -١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٥) المؤتلف والمختلف للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدار قطني البغدادي ت:٣٨٥هـ ، دراسة وتحقيق : موفق بن عبد الله بن عبد القادر (٢/ ٩٣٥)، دار الغرب الإسلامي ، ط١: ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

خامسا: شهرته :

واشتهر الإمام أبوعبد الله بلقب (القرطبي) نسبة إلى (قرطبة) ، وهي مدينة كبيرة من بلاد الأندلس ، وكانت بلد السلطان ، ودار مملكة البلاد ،خرج منها كثير من العلماء في كل فن قديما وحديثا[١].

سادسا: مولده وبيئته:

ولد الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– بقرطبة ، إحدى مدن الأندلس الكبرى ، ورافد هام من روافد الثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية والعربية . [٢]. وعلى العموم فالذي نستطيع أن نؤكده أن القرطبي قد ولد في مستهل القرن السابع الهجري ، أو أواخر القرن السادس الهجري على الترجيح، والتاريخ الأقرب لولادته هو : ما بين عامي (٥٨٥– ٥٩٥هـ)[٣].

سابعا: نشأته :

نشأ الإمام أبو عبد الله القرطبي في عصر الموحدين بقرطبة ، ونسب إليها ، بل أصبح أشهر علم من أعلامها ، فعندما يذكر القرطبي بإطلاق ، فلا تنصرف أذهان العلماء وطلبة العلم إلا إليه[٤]، وكان يعيش آنذاك في كنف أبيه ورعايته ، وبقي كذلك حتى وفاته (٦٢٧ه) في حادثة ذكرها عند تفسير قوله تعالى : "**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**"[٥].

ثامنا: رحلاته العلمية

إن المتتبع لسيرة الإمام القرطبي يجد أنه عاش الحقبة الأولى من عمره وهي مرحلة الطفولة والشباب في قرطبة في كنف دولة الموحدين بالأندلس ، والتي شبت على أساس من الفهم النقي لدين الإسلام والتوحيد الخالص ، وصفاء العقيدة.

---

(٧) الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ت ٥٦٢هـ – ١١٦٦م ، تحقيق : د/ عبد الفتاح محمد الحلو ،(١٠/ ٩٧–٩٨)، مكتبة ابن تيمية القاهرة ،ط ١، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م . اللباب في تهذيب الأنساب: لعز الدين بن الأثير الجزري، (٣/ ٢٥)، مكتبة المثنى بغداد، د.ت.ط.

(٨) القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير د/ مفتاح السنوسي بلعم، ص٨٥ ، دار الكتب الوطنية –بنغازي ط١ – ١٩٩٨م، البيئة وأثرها على المفسرين، دراسة تطبيقية على الإمام القرطبي: د/صلاح الدين عوض محمد إدريس، ص٣٦، حولية كلية المعلمين في أبها، العدد التاسع– عام١٤٢٦– ١٤٢٧ه.

(٢) القرطبي ومنهجه في التفسير د/ القصبي محمود زلط ، ص٦، دار الأنصار – القاهرة ، ١٣٩٩هـ ، د.ط ، القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير ، د/ مفتاح السنوسي بلعم ، ص٨٥–٨٦.

(٤) الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير: مشهور حسن، ص١٤.

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٦٩: ج٤: ح٧: ص٧٢.

وقد كان للإمام القرطبي رحلات مع أبيه وهو صغير السن على مكة والمدينة والقدس وغيرها من البلاد وسمع من علمائها ، وهناك رحلات طاف فيها بلدان المغرب ، ولقى العلماء فيها ؛ وذلك لسهولة الوصول إليها [١] ، واستقر الإمام القرطبي في مدينة "منية" [٢]بني خصيب التي عاش فيها بقية حياته وظل القرطبي بالمنيا ، يصنف ويعلم ، ويتعبد ، وقد صنف جميع كتبه أو أكثرها بها[٣].وتوفي الإمام القرطبي بالمنيا شرق النيل ودفن بها بمكان يعرف ب(زاوية سلطان) في شوال سنة ٦٧١ه – ١٢٧٣م (إحدى وسبعين وستمائة من الهجرة هذا وقد بني مسجدا يحمل اسم الإمام القرطبي في سنة ١٩٧١م، رحمه الله رحمة واسعة.

المطلب الثاني: حياة الإمام القرطبي العلمية

أولًا: ثقافته وعلمه

أقبل الإمام القرطبي منذ صغره على طلب العلم ، وقضى جل وقته في مدارسته ، وتلقيه من العلماء ، فقد تعلم جميع العلوم العربية والدينية ، وتعلم اللغة والنحو والشعر إلى جانب تعلمه وحفظه للقرآن الكريم، ولذلك نلحظ درايته الفائقة في مختلف العلوم كالفقه وأصوله ، والتفسير ، وعلوم القرآن ، والقراءات ، وعلم الحديث النبوي ، وعلم الرجال ، وتظهر تلك الثقافة في مؤلفاته العلمية .

ثانيا: مذهبه الفقهي

انتشر المذهب المالكي في عصر الإمام القرطبي ، وكان هو المذهب السائد في الأندلس والمغرب ، ومن أسباب انتشار المذهب المالكي : دعم الدولة للمذهب، وهذا له أثر كبير في التأثير على الإمام القرطبي فجاءت اختياراته للأحكام والأقوال –في الغالب–على المذهب المالكي، هذا وقد تتلمذ على يد علماء المالكية في الأندلس وتظهر مالكيته في تفسيره عندما رجح قول الإمام مالك بأن البسملة ليست بآية من الفاتحة [٤].

---

(١) موقف الإمام القرطبي من عقائد النصارى ، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين ، جامعة غزة ، إعداد الطالبة : هدى محمد أحمد الأسطل ، إشراف : د/ نسيم شحادة ياسين ، ص٢١، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م

(٢٧) وهي مدينة المنيا حاليا بمصر.

(٢٨) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل باشا البغدادي (١٢٩/٢) ، الناشر : وكالة المعارف – استانبول ، ١٩٥٥م ، د.ط . الوافي بالوفيات: للصفدي(٨٧/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٩٨/١/١: ١٠٠) .

ثالثا: مذهبه الأصولي

أما عن المذهب الأصولي للإمام القرطبي فقد أخذ بالأصول التي أخذ بها الإمام مالك ، هذا وقد دافع عنها في تفسيره ، ويظهر ذلك جليا عندما تعرض لحجية مفهوم الخطاب وهو إثبات حكم المنطوق به للمسكوت عنه بطريق الأولى– واعتبره حجة ، وهذا هو المعتمد عند المالكية .

فعند تفسيره لقوله تعالى:" وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "[1]، فقد ذكر في المسألة الثانية مفهوم الخطاب وحجيته ، فقال:" وهذا أدل دليل على القول بمفهوم الخطاب ، وفيه بين العلماء خلاف كثير مذكور في أصول الفقه"[2].

خامسا: شيوخه

إن أبرز شيوخ الإمام القرطبي بالأندلس هم الذين تحدث عنهم ،وذكر تلمذته لهم، ورجوعه إليهم في المشكلات والدقائق العلمية ، وهم :ابن أبي حجة (ت ٦٤٣هـ- ١٢٤٥م)، ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الأشعري (ت ٦٣٢هـ – ١٢٣٥م)، وغيرهم.

(1) سورة آل عمران: الآية٧٥: ج٣،ح٦، ص٥٩.

(2) الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله القرطبي، (٤٨١/٤/٢).

المبحث الثاني: منهج الإمام القرطبي الفقهي والأصولي.

تمهيد:

برزت صورة التفسير الفقهي واضحة تماما على يد الإمام القرطبي–رحمه الله– في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" ؛ ولعله من جملة المفسرين الذين اشتهروا بهذا الجانب، هذا بالإضافة إلى فكره الأصولي الذي تعرض له في تفسيره، وبذلك سنعطي القارئ والباحث في هذا المبحث فكرة عن منهجه الفقهي والأصولي قبل أن نعرض لموقفه من التعارض والترجيح الذي يعتبر ثمرة أصول الفقه ، فلا يستطيع القارئ والباحث أن يفهم التعارض والترجيح قبل أن يربط بين الأصول المختلفة فكريا، وبيان موقفه من الأدلة الشرعية ، وهي: (القرآن الكريم– السنة النبوية– الإجماع– القياس– قول الصحابي– شرع ما قبلنا– الاستحسان– سد الذرائع– العرف– المصلحة المرسلة– الاستصحاب– عمل أهل المدينة)، ثم منهجه في عرض الدلالات وعوارض الألفاظ : (العام –الخاص– المشترك– الحقيقة– المجاز– النص–الظاهر– المحكم– المتشابه– المفسر– المجمل– دلالة العبارة– دلالة الإشارة–دلالة النص– دلالة الاقتضاء)، هذا بالإضافة إلى طريقته في عرض المسائل الفقهية ، واجتهاداته ، وموقفه من مذهبه والمذاهب الأخرى ، ومصادره الفقهية.

المطلب الأول: منهج الإمام القرطبي الفقهي

يشغل الاهتمام الفقهي جزءا ضخما من تفسير القرطبي ، فهو لا يفوت آية – أو جزءا من آية – إلا ولها مناسبة بالأحكام الفقهية إلا تحدث فيها ، سواء كانت هذه المناسبة مباشرة أو غير مباشرة ، وبذلك فإن تفسير القرطبي يعد موسوعة فقهية كبيرة شملت جميع أبواب الفقه، ولذلك سماه "الجامع لأحكام القرآن " فهو يهتم بعرض الأحكام الفقهية المتعلقة بالآيات، مع ذكر الأدلة ، ويشمل على كافة مقومات التفسير[1]، وسنعرض في هذه الصفحات القليلة طريقته ومنهجه الفقهي في تفسير الآيات:

([1]) جامع الأحكام الفقهية للإمام القرطبي من تفسيره : فريد عبد العزيز الجندي ، (٦/١)، القول المختصر المبين في مناهج المفسرين: أبي عبدالله محمد الحمود النجدي، ص٢٥، مكتبة دار الإمام الذهبي، ط١– ١٤١٢هـ ، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: د/ محمد حسين علي الصغير، ص١٢٦، دار المؤرخ العربي، ط١: ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، دراسات في التفسير وعلوم القرآن: د/ محمد بن بكر إبراهيم آل عابد، ص٩٦، مكتبة المحتسب لأبي الحسنين – المدينة المنورة، ط١٤٣٠هـ ، فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم، إعداد: مركز الدراسات القرآنية – المدينة المنورة، ص٦٠١، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١٤٢٤هـ ، البعد اللغوي في تفسير القرطبي، دراسة تحليلية، شريفة زغيشي، جامعة الحاج لخضر باتنة، ص١، مجلة دراسات لجامعة الأغواط، عدد– ١٩ب، مارس٢٠١٢م، الاتجاه الفقهي في التفسير نشأته وتطوره: د/ عبدالرازق هرماس تارودانت، ص١٣، مجلة الأحياء، الأعمال الكاملة من النقل إلى العقل : د/حسن حنفي، (٣٦٤/١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة٢٠١٣م.

أولا: طريقته في عرض المسائل الفقهية :

يعد الإمام القرطبي من أكثر المفسرين اتساعا في دراسة المسائل الفقهية ، فنجده أحيانا يدرس المسألة الفقهية دراسة شاملة لأبواب الفقه ويبين مذاهب الفقهاء المختلفة ، وأحيانا أخرى يدرس المسألة من خلال المذهب المالكي ، وتارة أخرى يعقب على المسألة بترجيح أو بغير ترجيح ، أو يبدي رأيه ويجتهد في المسألة دون ذكر لآراء الفقهاء والعلماء.

ويبدو للمتأمل في تفسير القرطبي ، حينما يدرس المسألة الفقهية تفاوتا في دراسته، فنجده:

١-**<u>يتسع ويستفيض في شرح الآية القرآنية</u>** : ونلاحظ ذلك عند تفسيره لقوله تعالى:" **وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ**"[١]، فقد ذكر فيها خمس عشرة مسألة ، تحدث فيها عن كل ما يتعلق بالصلاة من أحكام، وبين شروطها وفرائضها ،ومقصدها اللغوي، ومعناها الشرعي[٢].

٢- **<u>وتارة أخرى نجده يختصر في عرض المسألة الفقهية</u>**:

ويذكر أن موضعها في كتب الفقه والخلاف ، ومثال ذلك قوله تعالى: "**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى**"[٣]، فبعد أن ذكر عدة مسائل من أحكام القسامة قال:" وتميم مسائل القسامة وفروعها وأحكامها مذكورة في كتب الفقه والخلاف، وفيما ذكرناه كفاية"[٤].

٣- **<u>ذكر مسائل الإجماع والاتفاق في المسألة :</u>**

ومما تميز به الإمام القرطبي أنه يذكر في ثنايا تفسيره عند عرضه للمسألة الفقهية ما أجمع عليه العلماء أو ما اتفقوا عليه. ومن أمثلة ذلك : قوله في آيات القتل في المسألة العاشرة قال :"ولا خلاف بين العلماء أن الجنين إذا خرج حيا فيه الكفارة مع الدية ، واختلفوا في الكفارة إذا خرج ميتا، فقال مالك: فيه الغرة والكفارة ، وقال أبو حنيفة والشافعي: فيه الغرة ولا كفارة "[٥] .

---

(١) سورة البقرة :الآية ٣ : ج ١ : ح١: ص ٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (١٦٤/١/١: ١٧٥) .

(٣) البقرة : ٧٣ : ص ١١ : ج١.

(٤)الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (١/١/ ٤١٦) .

(٥) المرجع السابق : (٢٨٣/٥/٣) .

٤- ذكر سبب الاختلاف في المسألة :

في بعض المواضع من تفسير القرطبي يلاحظ أنه يذكر سبب اختلاف الفقهاء في المسألة ، ومثال ذلك ما ذكره في آية الوضوء ، في مسألة ترتيب الأعضاء في الوضوء، قال:" وسبب الخلاف ما قال بعضهم : إن (الفاء) توجب التعقيب في قوله:" فاغسلوا" فإنها لما كانت جوابا للشرط ربطت المشروط به ، فاقتضت الترتيب في الجميع "[١]

٥- ذكر أسباب النزول، واهتمامه بالإعراب وصحة الأسانيد، وذكره أقوال العرب.

٦- القرطبي فقيه مجتهد فمن غير المستغرب أن نجد في تفسيره استخدام التوجيهات النحوية في معرفة واستنباط الأحكام الفقهية وبيانها[٢].

٧- ومن عادة القرطبي أن يلتزم النص عند تفسيره للآية ما أمكنه ذلك، غير أن هذا لم يمنعه من التفسير بالرأي المحمود أحيانا، ونراه في غير آيات الأحكام يوجز في مقام الإيجاز ويطنب في مقام الإطناب ، وقد يذكر في المسألة الواحدة ثلاثين مسألة أو أكثر[٣].

اجتهادات الإمام القرطبي :

نعني بالاجتهاد استفراغ الجهد، وبذل غاية الوسع للوصول إلى حكم الله تعالى في الوقائع والأحوال، سواء كان ذلك بتحديد الأحكام المقصودة من نص شرعي معين، أو بتطبيق القواعد الشرعية على الجزئيات[٤].

لا شك في أن القرطبي فقيه مجتهد ، واجتهاده جاء من خلال المذهب المالكي ، ورغم التزامه بتقليد هذا المذهب فلم يمنعه ذلك من أن يخالفه في بعض الآراء ، بل وخالف جمهور الفقهاء في بعض المسائل[٥]، فتارة يرجح آراء المذاهب في دراسته للمسألة الفقهية ، وتارة أخرى يجتهد بذكر فهمه للمسألة ربما لم يسبق لها أحد[٦].

---

(١)الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٤٦٩/٦/٣) .

(٢)النحو وكتب التفسير : د/ إبراهيم عبدالله رفيدة،(٨٥٠/٢)، الدار الجماهيرية للنشر، ط١- ١٩٨٢م.

(٣) اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره: ا.د/ سعود بن عبدالله الفنيسان ، ص٢٦٦، مركز الدراسات والإعلام- دار إشبيليا، ط١: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، علوم التفسير: د/ عبدالله شحاتة، ص١٩٤، دار الشروق، ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٤) المنهاج القرآني في التشريع: عبدالستار فتح الله سعيد، إشراف: ا.د/ أحمد الكومي، ص٢٨٣، شركة منارات- القاهرة، ط١: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، الاجتهاد: للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، ص٦، دار المسلم، ط١- ١٤١٢هـ ،

(٥) الإمام القرطبي فقيها : رسالة ماجستير مقدمة من الباحث : خالد حمدي عبد الكريم ، بجامعة المنيا ، كلية دار العلوم ، (٤٧٢/٢)، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

(٦) ويظهر ذلك جليا في تفسيره لسورة الفاتحة ، حيث نقل آراء العلماء في وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة ثم ذكر حكم قراءة الأجنبي الذي لا يجيد اللغة العربية : ينظر الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبدالله القرطبي، (١٢٨/١/١) .

مسألة دخول المرافق في الغسل في آية الوضوء ، حيث قال في المسألة السادسة:" فقال قوم: نعم ، وقيل لا يدخل المرفقان في الغسل ، والروايتان مرويتان عن مالك، الثانية لأشهب ، والأولى عليها أكثر العلماء ، وهو الصحيح"[١].

القواعد الفقهية والأصولية عند الإمام القرطبي

اهتم الإمام القرطبي بذكر القواعد الفقهية والأصولية في تفسيره ، وكانت هذه القواعد أحد أدلته في الترجيح في مسائل الفروع ، والرد على المخالفين ، ومن هذه القواعد:

١- كل من عجز عن شيء سقط عنه[٢] .

٢- لا يرخص إلا في الواجب[٣]. ٣- ما لا يتم الواجب إلا به واجب مثله[٤] .

٤- المسلمون عند شروطهم[٥]. ٥- القياس في مقابلة النص فاسد الوضع لا التفات إليه[٦] .

المصادر الفقهية عند الإمام القرطبي :

تعددت المصادر الفقهية عند الإمام القرطبي وتنوعت من حيث اختلاف مذاهب أصحابها ، واختلاف موضوعاتها ، فقد كان ينقل الآراء الفقهية عن كثير من العلماء والفقهاء[٧] ، وسنذكر بعض هذه المصادر : المدونة في الفقه المالكي رواية سحنون :وقد أكثر في النقل منها . ابن خويزمنداد: أكثر في النقل من أحكام القرآن له . محمد بن الحسن الشيباني الحنفي : نقل من كتبه السير الكبير والصغير والحجة على أهل المدينة.وأبو إسحاق الشيرازي : التنبيه على مذهب الإمام الشافعي.وأبو بكر بن العربي : القبس بما عليه الإمام مالك بن أنس .وأبو الحسن اللخمي المالكي : كتاب التبصرة .وأبو عمر يوسف بن عبد البر : كتاب الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة.و أبو عمر يوسف بن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٤٥٨/٦/٣) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٥٤٨/١٠/٤) .

(٣)المرجع السابق : (٦/ ٣٦٩/١٧) .

(٤) المرجع السابق : (٤٥٧/٦/٣) .

(٥) المرجع السابق : (٢٣/١٥/٦).

(٦) المرجع السابق : (٤٣٣/١٤/٥).

(٧)القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير: مفتاح السنوسي بلعم ، ص ١٩٩.

المطلب الثاني: منهج الإمام القرطبي الأصولي

لقد تعرض القرطبي لأصول الفقه في تفسيره فذكر كثيرا من أدلته وقواعده وبين أثناء عرضه للأحكام كيف تبنى الفروع عليها ، وفي بعض الأحيان كان يتطرق إلى ما دار من خلافات بين المذاهب حول هذه القواعد والأدلة [1]، وهذه الأصول والقواعد تمثل الآراء الأصولية للقرطبي ، وهي التي ميزته وجعلت له هذه المكانة بين علماء الفقه والأصول ، وسنجمل هذه الآراء والقواعد في هذه الصفحات القليلة.

منهج الإمام القرطبي في الأدلة الشرعية:

الدليل الأول: القرآن الكريم

حجية الكتاب ومرتبته بين الأدلة عند القرطبي:

لقد اعتبر القرطبي القرآن المصدر الرئيس الأول ولقد ذكر ذلك عند تعرضه لتفسير عدد من الآيات الكريمة منها : قوله تعالى: "اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم"( )،" أي اتبعوا ملة الإسلام والقرآن وأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، وامتثلوا أمره ، واجتنبوا نهيه ، ودلت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص"( ) . وقوله تعالى:" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفرون"( ) ، "فمن جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق"( ).

الدليل الثاني: السنة النبوية

<u>حجية السنة عند الإمام القرطبي</u>:

وتتضح حجية السنة عند الإمام القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى" وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى"[2] قال:" وفيها أيضا دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل"[3]

([1])القرطبي ومنهجه في التفسير : القصبي زلط ، ص ٣٥٨.

([2]) سورة النجم : الآية٣ : ج ٢٧: ح٥٣:ص ٥٤٦.

([3]) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٧٥/١٧/٩) .

الدليل الثالث: الإجماع

حجية الإجماع عند الإمام القرطبي:

ذكر الإمام القرطبي صحة الإجماع وحجيته مع اشتراط العدالة ، وأن يكون محله العلماء المجتهدون، وذكر هذه الحجية عند تفسيره لقوله تعالى:" وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

الدليل الرابع: القياس

حجية القياس عند الإمام القرطبي:

يقول القرطبي :" واختلف الناس في القياس إلى قائل به أو راد له ، أما القائلون به فهم الصحابة والتابعون والجمهور وأن التعبد به جائز عقلا وواقع شرعا وهو الصحيح"(١)، وبذلك فإن الإمام القرطبي يوافق الجمهور على أن القول بالقياس حجة ، وهو أصل من أصول الدين ومن الآيات التي استدل بها على صحة القياس ، قوله تعالى:" إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"(٢)، قال في هذه الآية:" دليل على صحة القياس ، والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم"(٣).

الدليل الخامس: الاستحسان

موقف الإمام القرطبي من الاحتجاج بالاستحسان:

ذهب الإمام القرطبي إلى أن الاستحسان المحض القائم على الهوى والاستنتاج العقلي المحض مرفوض ، أما الاستحسان القائم على الأدلة الشرعية فلا بأس به عنده. فقد ذكر عند تفسيره لقوله تعالى :" إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"(٤)، فقال: "والفحشاء أصله قبح المنظر ، ثم استعملت اللفظة فيما يقبح من المعاني ، والشرع هو الذي يحسن ويقبح ، فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء"(٥).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٤/ ١٥٠/٧) .

(٢) سورة آل عمران : الآية٥٩ : ج٣: ح٦: ص ٥٧.

(٣)الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٢/ ٤٦٩/٤) .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٦٩ : ج٢ : ح٣: ص٢٥ .

(٥)الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٦٠٥/٢/١) .

الدليل السادس: المصالح المرسلة

ذكرنا سابقا أن الإمام مالك هو الذي أخذ بالمصلحة المرسلة ، ولذلك نهج الإمام القرطبي في الأخذ بها ، واستدل بها عند قوله تعالى:" فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ"[١]، قال الإمام القرطبي:" ومن العدل في صلحهم ألا يطالبوا بما جرى بينهم من دم ولا مال فإنه تلف على تأويل، وفي طلبهم تنفير لهم عن الصلح واستشراء في البغي ، وهذا أصل في المصلحة"[٢].

الدليل السابع: سد الذرائع

موقف الإمام القرطبي من حجية الذرائع والاستدلال بها:

رجح الإمام القرطبي قول الإمام مالك وأحمد في القول بسد الذرائع ، واستدل على صحة العمل بالذرائع بأدلة كثيرة ، فمن أدلته على ذلك قوله تعالى لآدم وحواء :" وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ"[٣] ، نقل عن ابن عطية قوله :(وهذا مثال بين في سد الذرائع)[٤].

الدليل الثامن: العرف

عرف الإمام القرطبي العرف فقال:" العرف والمعروف والعارفة ، كل خصلة ترتضيها العقول وتطمئن إليها النفوس"[٥].

موقف الإمام القرطبي من الاحتجاج بالعرف:

جعل الإمام القرطبي للعرف مصدرين هما: الشرع ، واستعمال الناس قولا أو عملا ، هذا وقد احتج بالعرف واعتبره أصل من أصول الشريعة ، ويتضح ذلك عند تفسيره لعدد من المسائل التي بنى فيها ترجيحه للعرف .

وفي قوله تعالى :" وَاسْتَبَقَا الْبابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيا سَيِّدَها لَدَى الْبابِ"[٦] ، قال:" وفي الآية دليل على العمل بالعرف والعادة"[٧].

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٩ : ج٢٦ : ح٥٢: ص ٥١٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٥٨٨/١٦/٨) .

(٣) سورة البقرة : الآية ٣٥ : ج١ : ح ١: ص ٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٢٨٤/١/١) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٢٩٨/٧/٤) .

(٦) سورة يوسف : الآية ٢٥ : ج ١٢ : ص ٢٣٨ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٥/ ١٥٦/٩).

الدليل التاسع: قول الصحابي

موقف الإمام القرطبي من الاحتجاج بقول الصحابي:

استدل الإمام القرطبي بقول الصحابي ويتضح في تفسيره لقوله تعالى:" وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً"[١].استدلال الإمام القرطبي بهذه الآية على حجية قول الصحابي فقال:" إن هذه الآية دليل على صحة الإجماع ووجوب الحكم به فقول الصحابة حجة على التابعين وقول التابعين حجة على من بعدهم ، والصحابة كلهم عدول أولياء الله وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله هذا مذهب أهل السنة"[٢].

الدليل العاشر: شرع من قبلنا شرع لنا

وعرف الإمام القرطبي كلمة شريعة: عند تفسيره لقوله تعالى :"لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً"[٣] ، قال:" والشريعة في اللغة : الطريق الذي يتوصل منه الماء ، والشريعة ما شرع الله لعباده من الدين "[٤] .

حجيته عند الإمام القرطبي:

ذكره الإمام القرطبي عند تعرضه لتفسير بعض آيات الكتاب العزيز، والمستخلص من كلامه أنه يعتبره حجة شرعية إن لم يعارض الأدلة الشرعية ، ومن الأدلة على حجيته عنده تفسيره لقوله تعالى:" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ"[٥]، قال:" هذه الآية دليل على أن شرع من قبلنا شريعة لنا إلا ما علمنا نسخه وأنه يجب علينا الحكم بشرائع الأنبياء قبلنا"[٦].

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٣ ، ج٢ ، ح ٢: ص ٢٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٥٥٩/٢/١) .

(٣) سورة المائدة : الآية ٤٨ : ج ٦ : ح ١٢: ص١١٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٥٦١/٦/٣) ، وقد تعرض أيضا لمعنى كلمة (شرع) عند تفسير قوله تعالى:" شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا" سورة الشورى : الآية ١٣.قال:" ومعنى (شرع) أي نهج وأوضح وبين المسالك.

(٥) سورة آل عمران : الآية ٢٣ : ج ٣ : ص٥٣ .

(٦)الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٤٢٣/٤/٢) ، وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى :" فقلنا اضربوه ببعضها" ، سورة البقرة : الآية ٧٣ : ج ١: ص١١، قال في مسألة :" في قصة البقرة هذه دليل على أن شرع ما قبلنا شرع لنا " ، ينظر : الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٤١٦/١/١) .

الدليل الحادي عشر: الاستصحاب

الاستصحاب في اللغة: مشتق من الجذر "صحب" على وزن "فعل" فهو بذلك يكون مصدرا للفعل "استصحب" ، فإن من أشهر مدلولات هذا الوزن هو الطلب، وهو بمعنى المرافقة والملازمة، والاستصحاب إذا في اللغة ملازمة الشيء وطلب المصاحبة[1].

وفي اصطلاح الأصوليين : الحكم على الشيء بالحال التي كان عليها من قبل ، حتى يقوم دليل على تغير تلك الحال، أو هو جعل الحكم الذي كان ثابتا في الماضي باقيا في الحال حتى يقوم دليل على تغيره، وما دل العقل والشرع على ثبوته ودوامه[2].

الاحتجاج بالاستصحاب عند الإمام القرطبي:

ذهب الإمام القرطبي إلى الاحتجاج بالاستصحاب مطلقا في النفي والإثبات ، ومن المسائل الفقهية على الاحتجاج به ، مسألة : من أكل شاكا في طلوع الفجر: مذهب الإمام القرطبي: أن من أكل شاكا في طلوع الفجر من رمضان، ليس عليه قضاء ، وله الأكل حتى يتيقن طلوع الفجر[3]. والدليل قوله تعالى:" وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ"[4].

الدليل الثاني عشر: عمل أهل المدينة

عمل أهل المدينة:

كان مذهب أهل المدينة في القرون المفضلة ، أصح مذاهب أهل الأمصار، فإنهم كانوا يتأسون بأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أكثر من سائر الأمصار[5]، هذا وقد

([1]) الممتع في التصريف : علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الإشبيلي(٦٦٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، (١٩٥/١)، مادة(صحب)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٣: ١٩٧٨م، المعجم المفصل في علم الصرف : راجي الأسمر، ص٧٨، دار الكتب العلمية، ط١: ١٩٩٣، مبادئ العربية في الصرف والنحو: رشيد الشرتوني، (٢١/٤)، دار المشرق – بيروت، ط١٦، ١٩٦٨م، الاستصحاب وتطبيقاته في القضايا الغذائية المعاصرة: مصطفى بن شمس الدين، ص١٠، د.ت.

([2]) علم أصول الفقه : عبد الوهاب خلاف ، ص ٩٢، علم أصول الفقه ويليه تاريخ التشريع الإسلامي: أحمد إبراهيم بك ، ص١٠٢، دار الأنصار، ط ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م ، مختصر التحرير في أصول الفقه: العلامة بن النجار الحنبلي، ضبط نصه وصححه وعلق عليه: د/ محمد مصطفى محمد رمضان، ص٢٣٥، دار الأرقم ، ط١: ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، معجم مصطلح الأصول: هيثم هلال، مراجعة وتوثيق: د/ محمد التنوجي، ص٢٤، دار الجيل، ط١: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، شرح نظم مرتقى الوصول إلى علم الأصول للإمام ابن عاصم الغرناطي المالكي(ت ٨٢٩هـ) ، تأليف: د/ فخر الدين بن الزبير بن علي المحسي، قرأه وقدم لم له: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ص٧٢٢، الدار الأثرية ، ط١: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

([3]) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٧٠٣/٢/١) .

([4]) سورة البقرة : الآية ١٨٧ : ج ٢ : ص ٢٩ .

([5]) صحة أصول أهل المدينة: للإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٧٢٨هـ)، ص٢٠، مطبعة الإمام. الناشر/ زكريا علي يوسف، د.ط.ت.

قال مالك:" إجماع أهل المدينة حجة"[1]، وقد سار على نهجهم واعتبره أصلا فقهيا في استدلاله[2].

لم يفصح الإمام القرطبي عن رأيه في هذه المسألة ، فهو يعتبر عمل أهل المدينة خاصة في المسائل الاجتهادية قرينة يصح العمل بها ، وهذه القرينة لا تصلح أن تكون أصلا بذاتها ولكنها مبنية في الأساس على دليل إما منقول أو معقول، أو فيما تعم به البلوى ، ويلاحظ أيضا أنه كان يميل إلى القول بأن عمل أهل المدينة يقوي العمل بالحديث وإن كان مرسلا.

من المسائل التي احتج بها الإمام القرطبي في القول بعمل أهل المدينة:

مسألة قص الشارب : يذهب إلى تفضيل قصه على إحفائه وترجيحه لأحاديث القص في مقابلة أحاديث الإحفاء ، وذلك لأن عمل أهل المدينة جاء بالقص دون الإحفاء[3].

من المسائل التي خالف فيها الإمام القرطبي عمل أهل المدينة:

خالف العمل وذهب إلى جواز النيابة في صيام النذر عن الغير فيه ، واستدل بحديث عائشة قالت قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :"من مات وعليه صيام صام عنه وليه"[4].

منهج الإمام القرطبي في الدلالات وعوارض الألفاظ :

أولا : وضع اللفظ للمعنى

ينقسم اللفظ باعتبار وضعه للمعنى إلى عام وخاص ومشترك ، والخاص يندرج تحته المطلق والمقيد والأمر والنهي ، وفيما يلي عرض موجز لهذه الأقسام :

---

(1) مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه مع شرحه لعضد الملة والدين مع حاشيتي السعد التفتازاني والشريف الجرجاني ، (٣٥/٢)، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط١٣٩٤هـ.

(2) عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين : ا.د/ أحمد محمد نور سيف، ص٢٤، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، ط٢: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(3) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٥١٦/٢/١) .

(4)أخرجه : البخاري في كتاب الصوم – باب من مات وعليه صوم : ١٩٢/٤ ، مسلم في كتاب الصيام – باب قضاء الصوم عن الميت : ٢٣/٨ .

١-العام والخاص :

ومن المسائل المتعلقة بالعام والخاص عند الإمام القرطبي

قوله تعالى:" إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ"[١]، ذكر الإمام القرطبي في المسألة الرابعة : أن هذه الآية عامة دخلها التخصيص[٢] بقوله (صلى الله عليه وسلم):" أحلت لنا ميتتان : الحوت والجراد ،ودمان: الكبد والطحال"[٣].

ويندرج تحت الخاص :

أ- المطلق والمقيد

ومن أمثلة حمل المطلق على المقيد :

قوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ" [٤] قال قلت :" ذكر الله سبحانه وتعالى الدم ههنا مطلقا ، وقيده في الأنعام بقوله :"مسفوحا"[٥] ، وحمل العلماء ههنا المطلق على المقيد إجماع فالدم هنا يراد به المسفوح ، لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع ، وكذلك الكبد والطحال مجمع عليه"[٦].

ب- الأمر والنهي

أدلة الإمام القرطبي على الأمر:

استدل الإمام القرطبي على الأمر بقوله تعالى:" قالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ"[٧]، قال القرطبي:" يدل على ما يقوله الفقهاء من أن الأمر يقتضي الوجوب بمطلقه من غير قرينة ؛ لأن الذم علق على ترك الأمر المطلق الذي هو قوله عز وجل للملائكة "اسجدوا لآدم"[٨] ، وهذا بين"[٩].

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٣: ج٢: ح٣: ص٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٦١١/٢/١) .

(٣) أخرجه الدار قطني في سننه ، (٢٧٢/٤) .

(٤) سورة المائدة : الآية ٣ : ج٦ : ص ١٠٧.

(٥) سورة الأنعام : الآية ١٤٥ : ج ٨ : ص ١٤٧ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٦١٥/٢/١) .

(٧) سورة الأعراف : الآية ١٢ : ج ٨ : ص ١٥٢ .

(٨) سورة البقرة : الآية ٣٤ ، سورة الأعراف : الآية ١١ ، سورة الإسراء : الآية ٦١ ، سورة الكهف : الآية ٥٠ ، سورة طه : الآية

(٩) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (١٤٩/٧/٤) .

أدلة الإمام القرطبي على النهي:

يسير الإمام القرطبي مع جموع العلماء القائلين بأن النهي يفيد التحريم ولا يصرف عنه إلا بقرينة تصرفه إلى الكراهة ، ويظهر ذلك جليا عند تفسيره لقوله تعالى:" وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ"[1]، فقوله لا تأكلوا نهي على التحريم لا يجوز حمله للكراهة ، لتناوله في بعض مقتضياته الحرام المحض ولا يجوز أن يتبعض أي يراد به التحريم والكراهة معا وهذا في نفيس الأصول[2].

٣-المشترك :

أدلة الإمام القرطبي على المشترك:

ذكر الإمام القرطبي لفظ (القرء) لفظ مشترك يحتمل في الشرع معنيين هما: الطهر والحيض، ولكنه يرجح حمله على الطهر[3] مستدلا بقوله تعالى :"فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ"[4].

(1) سورة الأنعام : الآية ١٢١ : ج ٨ : ص١٤٣ .

(2) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (٦٩/٧/٤) .

(3) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، (١٠٢/٣/٢) .

(4) سورة الطلاق : الآية ١: ج ٢٨: ص٥٥٨ .

النتائج

وفي ختام هذا البحث الخص بعض النتائج التي توصلت إليها مجملة في النقاط التالية:

١-لقد كان الإمام القرطبي-رحمه الله- علما وعالما فذا من أعلام المفسرين والفقه الإسلامي في عصره، وأحد أئمة المذهب المالكي، ومما يدل على مكانته العلمية ثناء العلماء عليه، وأقوالهم فيه.

٢- خلف لنا الإمام القرطبي ثروة علمية هائلة، وموسوعة تفسيرية وفقهية كبيرة، وهي تفسيره الكبير المسمى ب" الجامع لأحكام القرآن"، واشتهر بهذا التفسير ، وتناثرت أقوال العلماء في بيان قيمة هذا التفسير الفقهي والعلمي، هذا بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى التي تدل على وفور علمه.

٣- تنوعت العلوم التي درسها الإمام القرطبي في تفسيره، فلم يكن الفقه والأصول هو الركيزة الأساسية في تفسيره، بل كان متضلعا باللغة، والنحو، والحديث، وغيره.

٤- اتصف الإمام القرطبي بالأمانة العلمية، ونسبة الأقوال إلى قائلها، وقد صرح بذلك في مقدمة تفسيره.

٥- دقته في عرض المسائل الفقهية وبيان الأحكام المترتبة عليها، هذا وقد اهتم بعرض المسائل الفقهية من الفتاوى.

٦- مدى نزاهة الإمام القرطبي العلمية وعدم تعصبه وسماحته، فقد أخذ بآراء العلماء المخالفين له في المذهب.

٧- أما عن أصول الفقه: فقد كانت أصوله متناثرة في تفسيره، فقد أظهر لنا موقفه من الأدلة الشرعية، والدلالات وعوارض الألفاظ، وهذا يدل على أنه كان أصوليا فذا.

المصادر والمراجع

١. اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره: ا.د/ سعود بن عبدالله الفنيسان، مركز الدراسات والإعلام- دار إشبيليا، ط١: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م،علوم التفسير: د/ عبدالله شحاتة، ص١٩٤، دار الشروق، ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢. الأعمال الكاملة من النقل إلى العقل: د/حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة٢٠١٣م.

٣. الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير تأليف: مشهور حسن محمود سليمان، الناشر: دار القلم دمشق،ط١/١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤. الإمام القرطبي فقيها: رسالة ماجستير مقدمة من الباحث: خالد حمدي عبد الكريم ، بجامعة المنيا ، كلية دار العلوم،١٤٢٠هـ -١٩٩٩م .

٥. الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ت ٥٦٢هـ - ١١٦٦م، تحقيق: د/ عبد الفتاح محمد الحلو ، مكتبة ابن تيمية القاهرة ،ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٦. اللباب في تهذيب الأنساب: لعز الدين بن الأثير الجزري،، مكتبة المثنى بغداد، د.ت.ط.

٧. البعد اللغوي في تفسير القرطبي، دراسة تحليلية، شريفة زغيشي، جامعة الحاج لخضر باتنة، مجلة دراسات لجامعة الأغواط، عدد- ١٩ب، مارس٢٠١٢م، الاتجاه الفقهي في التفسير نشأته وتطوره: د/ عبدالرازق هرماس تارودانت، ص١٣، مجلة الأحياء،

٨. جامع الأحكام الفقهية للإمام القرطبي من تفسيره : فريد عبد العزيز الجندي ،

٩. دراسات في التفسير وعلوم القرآن: د/ محمد بن بكر إبراهيم آل عابد، مكتبة المحتسب لأبي الحسنين – المدينة المنورة، ط١٤٣٠هـ ، فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم، إعداد: مركز الدراسات القرآنية – المدينة المنورة، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١٤٢٤هـ

١٠. شرح نظم مرتقى الوصول إلى علم الأصول للإمام ابن عاصم الغرناطي المالكي(ت ٨٢٩هـ) ، تأليف: د/ فخر الدين بن الزبير بن علي المحسي، قرأه وقدم لم له: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية ، ط١: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٠م صحة أصول أهل المدينة: للإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٧٢٨هـ)، مطبعة الإمام. الناشر/ زكريا علي يوسف، د.ط.ت.

١١. علم أصول الفقه : عبد الوهاب خلاف

١٢.علم أصول الفقه ويليه تاريخ التشريع الإسلامي: أحمد إبراهيم بك ، دار الأنصار، ط ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م
١٣.عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين : ا.د/ أحمد محمد نور سيف، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، ط٢: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
١٤.القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير د/ مفتاح السنوسي بلعم، ص٨٥ ، دار الكتب الوطنية – بنغازي ط١ – ١٩٩٨م، البيئة وأثرها على المفسرين، دراسة تطبيقية على الإمام القرطبي: د/صلاح الدين عوض محمد إدريس، حولية كلية المعلمين في أبها، العدد التاسع– عام١٤٢٦– ١٤٢٧ه.
١٥.القرطبي ومنهجه في التفسير د/ القصبي محمود زلط ، دار الأنصار – القاهرة ، ١٣٩٩هـ ، د.ط ، القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير ، د/ مفتاح السنوسي بلعم ، ص٨٥–٨٦.
١٦.القول المختصر المبين في مناهج المفسرين: أبي عبدالله محمد الحمود النجدي، ص٢٥، مكتبة دار الإمام الذهبي، ط١– ١٤١٢هـ ، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: د/ محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، ط١: ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م،
١٧.مبادئ العربية في الصرف والنحو: رشيد الشرتوني، دار المشرق – بيروت، ط١٦، ١٩٦٨م، الاستصحاب وتطبيقاته في القضايا الغذائية المعاصرة: مصطفى بن شمس الدين، ص١٠، د.ت.
١٨.مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه مع شرحه لعضد الملة والدين مع حاشيتي السعد التفتازاني والشريف الجرجاني ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط١٣٩٤هـ.
١٩.مختصر التحرير في أصول الفقه: العلامة بن النجار الحنبلي، ضبط نصه وصححه وعلق عليه: د/ محمد مصطفى محمد رمضان، دار الأرقم ، ط١: ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م،
٢٠.المعجم المفصل في علم الصرف : راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، ط١: ١٩٩٣،
٢١.معجم مصطلح الأصول: هيثم هلال، مراجعة وتوثيق: د/ محمد التنوجي، ، دار الجيل، ط١: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م،
٢٢.الممتع في التصريف : علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الإشبيلي(٦٦٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٣: ١٩٧٨م،

٢٣. المنهاج القرآني في التشريع: عبدالستار فتح الله سعيد، إشراف: ا.د/ أحمد الكومي، شركة منارات– القاهرة، ط١: ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، الاجتهاد: للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، ص٦، دار المسلم، ط١– ١٤١٢هـ ،
٢٤. المؤتلف والمختلف للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدار قطني البغدادي ت:٣٨٥هـ ، دراسة وتحقيق : موفق بن عبد الله بن عبد القادر ،دار الغرب الإسلامي ، ط١: ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.
٢٥. موقف الإمام القرطبي من عقائد النصارى ، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين ، جامعة غزة ، إعداد الطالبة : هدى محمد أحمد الأسطل ، إشراف : د/ نسيم شحادة ياسين ، ص٢١، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م
٢٦. موقف الإمام القرطبي من عقائد النصارى ، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين ، جامعة غزة ، إعداد الطالبة : هدى محمد أحمد الأسطل ، إشراف : د/ نسيم شحادة ياسين ، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م
٢٧. النحو وكتب التفسير: د/ إبراهيم عبدالله رفيدة، الدار الجماهيرية للنشر، ط١– ١٩٨٢م.
٢٨. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ) تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد ، د/ إحسان عباس، ط١ –١٣٦٧ه.
٢٩. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل باشا البغدادي ،الناشر : وكالة المعارف – استانبول ، ١٩٥٥م ، د.ط .